

تدخُّجُ «العربية السعيدة» إلى الجحيم

قصة صفقة صالح وهادي السرية (1)

تزوير تسليم السلطة

مرور عام على سيطرة الحوثيين على السلطة في صنعاء، ودخول اليمن في واحدة من أكثر الحقبات ظلاماً في تاريخها، حديثه وقديمه، فالأكيد أن جوانب من هذا المآل نتجت عن الصراع المباشر بين علي عبد الله صالح وعبد ربه منصور هادي، والصفقات السرية التي عُقدت بين الرجلين وشهد عليها عدد محدود من المقربين منهما. وقد عمل كلاهما ما بوسعهما لإمطاء الشعارات خلال السنوات الثلاث الماضية، واستجلبا العنف الداخلي والخارجي حينما لزم الأمر، تنافساً على مساحة رسمائها سوياً في إحدى ليالي 2011. هنا الجزء الأول من القصة. في الجزء الثاني، الذي ينشر الأسبوع المقبل، سقوط صنعاء بيد الحوثيين في صفقة ثنائية بينهم وبين صالح، وكيفية هرب هادي منها، الذي تلاه هربٌ ثانٍ من عدن إلى عُمان برعاية الطائرات من دون طيار.

في 2011، انطلقت ثورة شعبية سلمية في اليمن حملت في طياتها مطالب شعبية واسعة. كان علي عبد الله صالح قبل ذلك بسنوات، ومنذ مطلع الألفية الثالثة، قد بدأ بإعداد نجله الأكبر أحمد، قائد الحرس الجمهوري، أقوى وحدات الجيش اليمني وأكثرها تدريباً وتسليحاً. بدأ صالح لتسليمه السلطة من بعده. وحينما باغتته الأحداث في 2011، بدأ صالح جدياً بالتفكير بتسليم السلطة.. لابنه أحمد. ومع إدراك الرجل الواقعي والذكي أنه بإزاء موجة ثورية، وأنه لن يكون قادراً على توريث ابنه أو على الصمود في مكانه - كما اعتاد أن يفعل مع كل شيء - قرر تزوير تسليم السلطة بدلاً من تسليمها فعلاً.

بحث صالح بين رجالاته عمن يمكنه أن يعقد معه صفقة في غاية الأهمية والخطورة، تقتضي أن يكون جسور العبور للسلطة بينه وبين نجله. ليستلم منه السلطة ضمن المبادرة الخليجية - التي صاغ بنودها الأولى بنفسه وبخط يده - لمرحلة انتقالية تدوم عامين، على أن يعيد تسليم السلطة لأحمد. في بادئ الأمر، وقع اختياره على رئيس الوزراء حينها، الدكتور علي محمد مجور، وهو رجل دولة عريق واقتصادي ينحدر من محافظة شبوة الجنوبية، وكان يشغل أيضاً منصب الأمين العام المساعد للمؤتمر الشعبي العام (الحزب الحاكم حينها). لكن مجور رفض العرض ونأى بنفسه، ثم إن مجموعة عوامل محلية وخارجية كانت تميل جميعها نحو اختيار عبد ربه منصور هادي.

تبادل الرجلان القسم والأيمان الغلظة على الوفاء وعدم الخيانة. كان الاتفاق ينص على أن لهادي أن يحكم سنتين يعمل فيها ما يشاء. كان صالح يراهن على إخلاص هادي له طيلة 17 عاماً كان خلالها نائبه ولم يتجاوز أثناءها دوره المحدد، وكذلك على عدم امتلاكه السند القبلي القوي الذي قد يتيح له التفكير في نكث عهده.

بعد انتخاب هادي، التقى الرجلان في القصر الجمهوري بصنعاء ضمن احتفالية خصصها صالح لما وصفه بتسليمه السلطة «سلمياً»، ودعا إليها كل الديبلوماسيين ووسائل الإعلام العربية والعالمية. ألقى صالح خطاباً مقتضباً قال فيه إنه وجد أخيراً «الأيادي الأمانة» لتسليمها السلطة، وأنه ينتظر أن يحضر بعد عامين (مع انتهاء زمن المرحلة الانتقالية) احتفالية تسليم العلم لرئيس آخر. وأمام الكاميرات، ظهر الرجلان في تلك الصياحية قبيل الاحتفال، وكل منهما يصير على إجلال الآخر على كرسي الرئيس المعتاد، في سلاسة تبدو غريبة.

هكذا نُفِّذت تفاصيل الاتفاق الأولي بسهولة، وحتى حينما زل لسان قائد قوات الأمن المركزي، يحيى صالح (ابن شقيق الرئيس) في العام 2012، قائلًا إن أسرته بانتظار العودة إلى السلطة في 2014، فرُغَ عائلياً لتلميحـه غير المسؤول وإن غير المباشر.

النكث

في شباط/ فبراير 2012، خرج أكثر من سبعة ملايين ناخب يمني إلى صناديق الاقتراع، في دلالة شديدة التعبير على تطلمعهم القوي لطى صفحة صالح. ومن أميركا التي كان يُعائِلُ فيها من آثار محاولة الاغتيال التي تعرض لها بتفجير مسجد الرئاسة، دعا صالح أنصاره إلى انتخاب هادي في تلك الانتخابات (البعية).

مع استشهارة الدعم الدولي الكبير والرفض الشعبي الواسع لنظام صالح، اتخذ الرئيس هادي خطوة جريئة: لن يفي بالاتفاق! أبلغ صالح عبر وسطاء بعد الانتخابات بأن الصفقة بينهما لاغية.

ومع جمالية الفكرة من حيث المبدأ، باعتبار «خيانة الخيانة وفاء»، إلا أن الرئيس هادي لم يكن يحسب وقتها إلا للفرصة الشخصية التي لاحت أمامه. توقفت فجأة العلاقة بين الرجلين. واللقاءات والرسائل بين أبنائهما الذين ظلوا أصدقاء حميمين حتى بعد صعود هادي للسلطة، يتبادلون الصناخ والخبرات في السياسة والتجارة.

كان علي عبد الله صالح يمتح كل مشاريعه الشخصية صفات وتسميات «وحدوية»، بينما يعمل في الواقع على هدم كل ما له علاقة بوحدة اليمن.. وعلى خطاه منسى عبد ربه منصور هادي، إذ هدم الثورة الشبانية وكل أمالها في أقل من ثلاث سنوات (بالطبع بمساعدة الأحزاب والأشخاص الذين ساعدوا صالح أحياناً كثيرة قبله، أو نسخ جديدة منهم، أكثر رداة)، متطلقاً على مشاريعه أسماء وطنية واسعة، كـ «الحوار الوطني» و «القضية الجنوبية»، مهددساً إياها وفق أجندته الشخصية. فهادي قرأ يتمتع ومثابرة دليل صالح إلى السلطة، وحاول السير على خطاه.. في زمن غير زمن صالح.

ومع بداية وصوله، غرس هادي أقرابه (كابن أخيه) في شركة صافر النفطية للسيطرة على مواردها، وبدلاً من الإعداد الحقيقي للحوار الوطني ومقاربة حل القضية الجنوبية جدياً، رفض (بمساعدة ومباركة المبعوث الأممي تنفيذ النقاط العشرين لحلها... لأن تحقيق الهدف كان سيضعف مركزه الذي قام شعبياً وأمام القوى النافذة على كونه جنوبي. هذا على الرغم من أنه كان شخصياً متورطاً في الحزب الذي لحق بالجنوب، فهو الذي رفع من أرتع حين كان وزيراً للدفاع.

وبعد اضطلاعاً بمؤتمر الحوار الوطني في آذار/مارس 2013، أصدر الرئيس هادي قراراً يعزل اللواء المتفقد علي محسن الأحمر من قيادة الفرقة الأولى مدرع وقيادة المنطقة العسكرية الشمالية الغربية، والعميد أحمد علي عبد الله صالح من قيادة الحرس الجمهوري، وإلغاء المسمين من تشكيلة الجيش اليمني، وتعيين الأخير سفيراً لدى أبو ظبي. كان ذلك أول تدشين للصراع بين الرجلين. بعيد القرار، قامت لجنة وساطة أرسلها صالح بزيارة هادي لتعبر له عن التزام أحمد بتسليم الحرس الجمهوري، وفي المقابل طلبت بإسم الرئيس السابق إعفاء نجله من منصب سفير في الإمارات. فقد أراد أحمد البقاء في اليمن. ولكن هادي رفض التماس اللجنة، وكانت تلك القرارات تتزامن مع الفترة التي كانت تجري فيها محادثات علا وجمال مبارك في مصر، فأجابهم قائلاً «قولوا له يحمد الله أولاد مبارك بالسجن»، ليرد عليه أحد أعضاء اللجنة: «فخامة الرئيس، ولكن نائب مبارك في القبر»، في إشارة الى عمر سليمان الذي توفي ولم يمسد رئيساً كهادي.

استطاع هادي حينها ترميز قرار عزل نجل صالح والأحمر، كون القرارين وافقا مطالب شعبية واسعة، ولم يكن أي منهما باستطاعته - على الأقل حينها- الرفض العلن أو المباشر.

وجهة الجهد

عمل الرئيس هادي بنجاح في عامه الأول على تفكيك منظومة قيادات صالح وعزلها تدريجياً من الجيش ومن أماكن هامة في مفاصل الدولة. لكن عملية هيكله الجيش توقفت في قمة العزم، من دون أن يرسي بدلاً منها منظومة مصالح مرتبطة بالدولة، ومن دون خلق مساحة قيادية شخصية وعمامة يمكنه عبرها استيعاب كل هذه القوى التي فككها. وقد سهل ذلك لصالح لاحقاً إعادة استنقاذ الكثير من الخاسرين الجدد الذين أقصاهم هادي، الذي لم يبذل الكثير من الجهد لاحتواء أو حتى



أحمد السوداني – العراق

يمتلك أي مقومات تذكُر للمنتصب، لكنه كان ابن قرية الرئيس الوفي الذي سيجرّص على تحقيق ما يريده منه. وخلال عشرة أشهر، عمل «مارم» على تعطيل أي نقاش حقيقي داخل اللجنة، إرضاءً للرئيس، واصطلمت محاولة أكثر من عضو لتغييره أو لإصلاح سياق عمل اللجنة بنفوذ هادي المباشر على الأمانة العامة لمؤتمر الحوار الوطني.

حقق هادي هدفه الثاني، عبر ذراعه البولوية والطبيعية، الأمانة العامة لمؤتمر الحوار، باستصدار مادة تحقق فعلياً عدم صعود أحمد علي صالح إلى السلطة. ولاعتماد ذلك، أوفد هادي منتصف شباط/فبراير 2014 أمين عام الحوار الوطني حينها، بن مبارك، إلى نيويورك للحصول على قرار أممي يدعم مخرجات الحوار، وكان القصد تكريس هذين البندين. انتقم صالح لاحقاً من بن مبارك بالإيعاز للحوثيين في أيلول/سبتمبر 2014 برفض ترشيحه لرئاسة الوزراء، وقد أجبر على الاعتذار عن تشكيل الحكومة حينها.

وفي حزيران/ يونيو 2014، قرر الرئيس هادي رفع الدعم عن المشتقات النفطية في البلاد، فارتفعت أسعار الوقود بناء عليه وخرجت تظاهرات كبيرة في عموم البلاد، وكان البعض منها رداً من صالح على تصرفات هادي، الذي قال عن القرار الذي اتخذهُ خلافاً لرغبة حكومته الإنتقالية، انه لا مفر منه لردف الموازنة العامة للدولة، لكن ذلك لم يكن صحيحاً على اية حال . تشير إحدى وثائق ويكيليكس السعودية إلى أن السفير السعودي في صنعاء كان قد بعث بمذكرة للرياض يقول فيها إن المساعدات النفطية التي قدمتها المملكة لليمن لم تُؤدِّد الى خزينة الدولة.

لم يفوت هادي وصالح هذه الفرصة بطبيعة الحال للانقضاض كلٌّ على الآخر. تحول صالح إلى الهجوم هذه المرة، فقد كانت تلك فرصته لتأليب الناس على هادي. أما هذا الأخير فتلك كانت فرصته لتوجيه أصابع الاتهام الى «النظام السابق»، لعب هادي على ذلك لثلاثة اعوام، معلقاً عليها كل فشله، إلى درجة تجعل المرء يعتقد أن هادي كان منذ العام 1994 احد معارضي صالح القابعين في السجن، وليس نائباً له في أسوأ سنين حكمه. ليس ذلك فحسب، بل استغل السخط الشعبي لتمرير قرارات جمهورية جديدة ككفالات لمن طيخوا له العملية الإنتقالية والحوار الوطني على هواء بدلاً من الاستجابة للمطالب المحقة التي قامت بوجه قرار رفع الدعم عن المشتقات النفطية. كما استغل السخط الشعبي للسيطرة على قناة «اليمن اليوم» التابعة لصالح، فأمر قوات الحراسة الرئاسة بمهاجمتها والسيطرة عليها.

عمران وما أدراك..

كل ذلك لم يمنح هادي من محاولة مغالزة صالح في تموز/ يوليو 2014، عندما اندلعت المارك في محافظة عمران بين الحوثيين وقوات

السفير العربي

4.6 مليار دولار عائدات إسرائيل من بيع الطائرات بلا طيار (درونز)، وذلك بين عامي 2005 و2013، بحسب «مركز أبحاث السلام العالمي» في ستوكهولم، آخرها 10 طائرات من نوع (IAI Searcher) باعتهار لروسيا.

اللواء 310 الموالية قيادته لعلي محسن الأحمر وحزب الإصلاح (الإخوان المسلمون)، خصصي صالح اللدودين منذ 2011. كان ثار صالح من الإخوان المسلمين في اليمن عموماً، لانشقاقهم عنه في 2011، أكثر من ثأره من أي طرف آخر. وكان الرئيس هادي يرغب في تقليص أظافر الإخوان والتخلص من صعودهم الذي تراقق مع حراك 2011، وكان معطيات الواقع، وقبل أن يجهز إطار حماية له بديلاً عنهم، ومن دون أن يُخَرِّج صالح إلى مربع محايد على الأقل.

وجد هادي في مارك عمران فرصة لعندة ولو وهمية مع صالح، فسمح بسقوط المحافظة بيد الحوثيين ومقتل اللواء القبضيي، غير مدرك بأنه يلعب بالنار وسط منطقة مشتعلة للغاية. سرَّ علي صالح بذلك كثيراً، وبنى عليه لاحقاً لينسج مع الحوثيين إسقاط صنعاء.

بعد سقوط عمران في رمضان 2014 بيد الحوثيين، بدأت السعودية باستشعار تعاطف خطر خصومها الحوثيين بشكل مباشر، فطلبت من علي عبد الله صالح وعبد ربه منصور هادي نسيان خلافاتهما والعمل سوياً لمواجهة الحوفي. من حيث المبدأ، وافق الرجلان، وظهرا معاً برفقة اللواء الأحمر في صلاة عيد الفطر بجامع الصالح، وهو الجامع نفسه الذي كانت قوات هادي قد سيطرت عليه لأيام قبل ذلك فنشبت توترات أمنية.. ضمن محاولة هادي تشتيت الرأي العام والهائه عن أزمة المشتقات النفطية.

ظلت تلبية رغبات الملكة شكليّة، لأن هادي لم يستطع مصارحة السعودية بحقيقة مشكلته مع صالح الناتجة عن الصفقة الملعونة تلك، كما لم يستطع صالح ذلك أيضاً. وكان محسن الأحمر يدرك أنه هدف لهما معاً، كما أنهما هدفان له أيضاً. ففشلت الرياض في جمع هذا الشتات المتعادي، وكان ذلك في مصلحة الحوثيين وحدهم. استمر تمدد الحوثيين نحو صنعاء، واستمر صالح وهادي في التردد لبعضهما وتحويل أي معركة إلى وقود لصراعهما الخاص والمباشر. في آب/ اغسطس من العام نفسه، اجتمع الرئيس هادي بكبار قادة جيشه في منزله بالعاصمة صنعاء وأسمعهم تسجيلاً صوتياً لأحد قادة المعسكرات المحيطة بمطار صنعاء والتابع للحرس الجمهوري، وهو يقول إنه سيهاجم مطار صنعاء إذا لم يفعل الحوثيون.

(بقية القصة في الأسبوع المقبل)

فارع المسلمي

باحث من اليمن

47 في المئة من المدارس الاهلية المسيحية في إسرائيل أعلنت الإضراب طوال الشهر الماضي اعتراضا على تخفيض إسرائيل للمخصصات المرصودة لها، من 70 في المئة من نفقاتها إلى 29 في المئة. وعلى ذلك، تضع إسرائيل سقفاً لمساهمة أهالي تلاميذ هذه المدارس هو 645 دولارا سنويا للتلميذ، الذي يحتاج فعليا الى ضعف هذا المبلغ، وفي هذه المدارس 30 ألف تلميذ.

هل يستحق المصريون وزارة للعشوائيات؟



وفا حوراني - فلسطين

لا يُحْفَى على مَنْ يعيش بالقاهرة مظاهر التدهور العمراني الذي تعاني منه معظم مناطقه. تستيقظ صباحاً وتنزل إلى شوارعها فلا تجد رصيفاً للسير. تحاول التنقل بالواصلات العمياء فلا تستطيع لإزحامها وانعدام أدميتها. وإن كنت من أبناء الطبقة الوسطى، وتعامل مع الترو الذي يصعب ارتياده في ساعات الذروة، فقد تُضطر للتنقل بالتاكسي لتعيش ساعات محبوساً في شوارع القاهرة المزدحمة. يحكى أحد سكان المناطق التراثية التي أصبحت متدهورة عمرانياً، أنه يستيقظ يومياً ليجد نفسه في طابور حتى يتمكن من دخول المراحيض (المشترك لأكثر من ساكن). وحتّى أم لثلاثة أطفال من منطقة بني أهالي عن رعيها اليومي خلال رحلة أطفالها من المدرسة وإليها، حيث يضطرون للعبور في أرض مهجورة تحوي النعابين، كما يستخدمها بعض أهالي المنطقة لتناول المخدرات. وماذا عن الآلاف الذين يعيشون في عشش من الصفيح والأخشاب، وغيرهم ملايين يعيشون في بيوت من دون سقف، بنوها بأنفسهم من الطوب واضطروا، لضعف إمكاناتهم المالية، الى سقفاها بشكل مؤقت بالأخشاب والألواح البلاستيكية. ملايين من المصريين سيبدو بمجهوداتهم الذاتية شبكات المياه والصرف الصحي، ويعاونون جراء ذلك من المياه الملوّثة في شوارعهم نتيجة عدم صيانة تلك الشبكات. ملايين المصريين والمصريات يبذلون قصارى جهدهم لجمع مناطقهم قابلة للعيش والمعيشة، فهل يحتاجون لوزارة لتطوير العشوائيات ومنافقهم أم لا؟ لا تتطلب المعاناة اليومية للإنسان في سكنه وبينته التحتية وخدماته وطرقه ومواصلته وزارة تعمل على إصلاح وتطوير ذلك...

الزلازل

لم تنشئ الدولة وزارة أو جهة تختص بأمور التدهور العمراني بعد إحدى أهم الكوارث الطبيعية التي مرت بها مصر في زمنها الحديث. الزلازل الأرضي في 12 تشرين الأول/أكتوبر 1992، بقوة 5.8 ريختر في القاهرة ومحافظات أخرى، تسبب ب وفاة أكثر من 350 شخصاً وإصابة أكثر من 6 آلاف، كما شرد أكثر من 50 ألفاً أصبحوا بلا مأوى. انهارت مئات المباني وتصدعت آلاف غيرها، وخاصة في الأحياء القديمة والتراثية، بجانب الجديدة منها نتيجة سوء البناء والفساد بعد الإنفتاح الاقتصادي في السبعينات. اضطرت الحكومة المصرية للايواء العاجل للأسر الشردة، بداية في عدد من الخيام بشكل مؤقت، ثم نقلتهم إلى عمارات كانت مخصصة للشباب. وبعد الزلازل، قررت الحكومة المصرية وإدارتها المحلية إلغاء إصدار قرارات التريميم في أحياء مصر الشعبية والتراثية، وعليه أخذت تلك البيوت في التدهور بفعل عوامل الزمن، وتناقص بشكل مستمر عدد سكان تلك الأحياء.

صندوق للعشوائيات

تفاجأ العديد من سكان المناطق بتسجيل مناطقهم كمناطق غير آمنة، تدرجت خطورتها من واحد إلى أربعة. حدث ذلك بعد حادث الدويقة (أيلول/سبتمبر 2008 وكان ذلك في شهر رمضان). حين انهارت صخرة ضخمة في المنطقة أدت الى وفاة أكثر من مئة شخص

وإصابة مئات آخرين شرّودا جميعاً من مأواهم. فأنشئ صندوق يختص بتطوير المناطق العشوائية يتبع رئاسة الوزراء. كانت مهامه الرسمية بحسب نص القرار: «حصر المناطق العشوائية وتطويرها وتنميتها، ووضع الخطة اللازمة لتخطيطها عمرانياً، وإمدادها بالمرافق الأساسية من مياه وصرف صحي وكهرباء. وبيابشر الصندوق اختصاصاته بالتنسيق مع الوزارات والجهات المعنية ووحدات الإدارة المحلية، وعلى هذه الجهات إمداده بالمعلومات والخبرات والمساعدات اللازمة».
خلال سنوات عمله، أصدر الصندوق حصرًا للمناطق العشوائية على مستوى مصر، محدداً مساحتها وأماكنها ودرجات خطورتها على حياة السكان. لم يُطوّر الصندوق أيًا من المناطق التي اعترّف بتطويرها بل هجر سكان بعض تلك المناطق إلى المدن الجديدة، حيث راحوا يعانون وما زالوا من انعدام فرص العمل والخدمات. أما المعلومات المجمعة عن المناطق، فغير صحيحة لجهة خطورتها! ويُدعي الصندوق أن الأرض أملاك دولة بينما هي أملاك خاصة.. ظل الصندوق يعمل منذ أوائل 2009 وحتى 2014، وحيث لم نشهد من الصندوق تطويراً لأي من المناطق، فهل أنشأ أصلاً كي يبرر بشكل قانوني تهجير السكان

من مناطقهم واستخدام المناطق في مشاريع استثمارية؟
الوزارة

فجأة قرّرت الحكومة إنشاء وزارة دولة باسم «وزارة التطوير الحضري والعشوائيات»، برئاسة الدكتورة ليلى إسكندر، وهي تضم في كيانها الإداري صندوق تطوير المناطق العشوائية. اشتهرت إسكندر بعملها في المجتمع المدني ومنظفاته. ومنذ توليها عام 2014، أجرت عدداً من الاجتماعات الاستشارية مع أعضاء من منظمات المجتمع المدني معنيين بشؤون العمران والسكن وحقوق الإنسان. تميّزت الوزيرة بتصريحاتها «المختلفة»، حيث ولأول مرة في الحكومة المصرية، يأتيها مسؤول يقول «لا تهجير للسكان» و «سأعمل على تطوير المناطق حتى وجود آخر أسرة فيها»، وتحدّثت عن قيمة الإنسان وأن أهميته تأتي قبل الحجر. كما تغير شعار الصندوق من شجر ومبانٍ إلى إضافة رسوم لبشر. كانت انتقادات الناشطين والباحثين العمرانيين والمعماريين أن كل التصريحات من المسؤولين قبل إنشاء الوزارة عنت نقل السكان من مناطقهم، ولم تعتم هيئات الدولة المختلفة بمشاركة ساكني المناطق في أي رؤى تطويرية لها بينما تردد معظم الوقت سكان

المناطق الى اجتماعات في الوزارة محاولة منهم للوصول لطرق وحلول لتطوير منازقتهم. وفاجأت الوزيرة الجميع حين زارت منطقة ماسبيرو في حي بولاق بعد علمها أن مجموعة عمرانيين ومعماريين عملوا لمدة عام بشكل بحثي مع السكان وأنهم توصّلوا لرؤية تشاركية لتطوير المنطقة. ولشهور ظلت وزارة التطوير الحضري تعمل مع السكان والفنيين وفريق المماريين ومع جهات رسمية مختلفة لتنفيذ المشروع. وقد تم عرضه مؤخراً كسبائقة معمارية عالية.

تهجير الأهالي

وُجِدت تناقضات عدة بين تصريحات وزارة التطوير الحضري والعشوائيات والجهات الأخرى المسؤولة عن الإسكان والعمران. لم ينضح أيها يعبر عن توجهات السلطة. كان الإعلان عن مشروع تطوير نِزلة السمان في تشرين الأول/ أكتوبر 2014 من هيئة التخطيط العمراني بوزارة الإسكان مفاجأة لأنه جزء من مشروع القاهرة 2050 الذي اعترّفت تنفيذة لجنة السياسات بالحزب الوطني الحاكم، قبل الثورة المصرية في 2011. المشروع عبارة عن مخطط سياحي استنماري في منطقة الهرم ونزلة السمان

سجال حول «تعثر مدينة روابي في الضفة الغربية» لرجا الخالدي

نقاشات هامة أثارها نص رجا الخالدي «تعثر مدينة روابي في الضفة الغربية»، المنشور في السفير العربي بتاريخ 1 تشرين أول/أكتوبر 2015، وقد قمنا هنا بتجميعها وترجمتها (بعضها كان بالانكليزية)، وهي سمحت ببلورة فكرة الكاتب الذي عاد فأدلى بدلوه في هذا السجال. اختصرت الأسماء إلى الأحرف الأولى لأن أصحابها لم يتوقفوا ربما نشر ردودهم المرسلة مباشرة الى الكاتب.

لك:يد

أشكرك على المقال الجميل، لكنني أعتقد أنك مزلتحت مسالتين لا رابط بينهما أبداً، أعني عودة اللاجئين من جهة ومشروع «روابي» من جهة أخرى. المسألة الأولى سياسية وإنسانية بينما الثانية مرتبطة باقتصاد السوق. دمج هاتين المسألتين بهذه الطريقة المصطنعة، أو دعني أقول «الهرزلية»، ليس عادلاً بحفهما. اللاجئون يجب أن يعادوا وواجبنا أن نساعدهم في اختيار مكان يستقرون فيه سواء في الضفة الغربية أو في غزة، ولا يجب وضع هذه العودة في حزمة واحدة مع ميذا (اشترت واحداً وقررت على الثاني مجاناً) المرتبط باقتصاد السوق. يوجد في رام الله والبيرة أكثر من 4000 شقة فارغة يمكننا أن نستوعب 24000 شخص. أمّا بالنسبة لمشروع «روابي» الذي لا أظن أنّ فشلها مستحيل طالما أن مشاريع أخرى من قبيل «مشروع الدولة»، ومنظمة التحرير، والضمان الصحي، والتعليم، والزراعة، والسياحة.. قد فشلت بامتياز ولم يقل أحد إنّها أكبر من أن تفشل (هذا ما تمليه العقلانية

وما تمليه السياسة). هذا المشروع الذي جاء من رحم اقتصاد السوق المرتبط بطريقة الحكم النيوليبيرالية في ظل استقلالية محاصرة (الإستثناء داخل الإستثناء) يجب أن ينفذ تبعاً للمفاهيم نفسها، أي علينا ترك هذا المشروع بمضي بالطريقة نفسها التي وجد فيها وفق قواعد لعبة اقتصاد السوق، فإذا نجح الأمر يمكن إعادة تجربة «روابي» ثانية (في أريحا مثلاً) أما إذا فشل فسنؤقّر على نفسنا الجدل حول الجغرافيات الجميعة ونماذج التمدين (في مواقع ريفية على كل حال). شكراً لك ثانيةً على المقالة الجريئة التي يمكن أن تدفع النقاش حول عودة اللاجئين - الفارين من سوريا على الأقل - إلى الواجهة.

رجا الخالدي:

شكراً على ردك العميق والمباشر. أتفق معك في كون الاقتراح عرضة لأن يعتبر هزلياً.. وقد كنت واعياً بشكل من الأشكال إلى أن الروجين لـ«روابي» يمكن أن يعتبروا ما طرحته كتكئة سمجة.

أظهر ن. ك في تعليقاته مخاوفه المتعلقة بإعادة توطين العائدين في مكان واحد، وما لذلك من آثار على حق العودة، كما أنّ آخرين عبروا لي عن اعتقادهم أنّ أحدًا غيري كان يمكن أن يقدم هذه المقترحات التي يرحّج عدم حصولها على رعاية سياسية. لا أريد أن أبذو مدافعاً شرساً عن فكري لكنني سألخص فيما يلي وجهة نظري حول هذه الأمور:

● أولًا: ارتباط مشروع «روابي» باقتصاد السوق وارتباط مقترحات منظمة التحرير حول استقبال العائدين بالسياسة (ويمجّد اتخاذ مواقف لا يعني عدم إمكانية إيجاد حلول مشتركة أو اختلاق هذه الحلول. ما أقوله هو الواقع هو أنّ مصلحة الجماعة يجب أن تتقدّم على مصلحة السوق. إضافة إلى هذا فقد أردت أن أشدد على أن طرح منظمة التحرير هذا الجيد - والنادر - يجب أن يتابع بداب أيًا كانت طريقة إعادة التوطين.

● ثانياً: المشروع في الحقيقة أكبر من أن يفشل لأن أطرافاً كثيرة لن تسمح له أن يفشل. وستتملئ الشقق بالسكان أيًا كانت الطريقة حتى ولو اضطر

بشار المصري إلى البيع بأبخس الأثمان. في الوقت نفسه، اعتقد أنّ هذه التجربة الإجتماعية لن تنجح وفق المخطط على الأرجح. بل إن هناك احتمالاً أن تعطي نتائج عكسية على مساحاتنا المدنية وربما على طريقة عيشتنا أيضاً. أحد رجال المبيعات في روابي قال لي:يون قلق من أنّ «روابي» بعيدة عن رام الله إنّنا قريباً سنسمع الناس يقولون إنّ رام الله بعيدة عن «روابي». أنا شخصياً أفضل رام الله ونموها العفوي - والدعش أحياناً - على نمط الحياة الفلسطيني الجيد المقترح في «روابي» (هذا إذا تخاضينا عن صجيج رام الله).

● ثالثاً: أمّا بالنسبة لـ«تصور العودة» - وهذا عنوان أحد مشاريع جمعية زوخروت («الذاكرة») - فهذا شيء لم نقمُ به بشكل منظم سابقاً، ومن هنا نتبع مصادفة تدقق العائدين من تونس بعد أوصلو الذين عادوا إلى قراهم ومدنهم وبلداتهم الأصلية أو إلى رام الله (في حالة لاجئي 48). وهذه مصادفة طبيعية حتماً. لذلك إذا أردنا الدفع بجذية نحو استقبال 50000 عائد، وإذا أردنا أن نجد حلّاً سريعاً لاستيعابهم، فلا مكان أفضل من مدينة جازة تستطيع رغم كل عيوبها المحافظة



– أن يبدأ الأوروبيون في القلق منهم، وتشكيل قوة لحماية أوروبا منهم.
– أن تبدأ الحرب ضد اللاجئين. وتتوحد دول أوروبا ضدهم.
– أن ينتصر اللاجئون في الحرب، انتصاراً كاسحاً على الجيوش الأوروبية جميعاً.
– أن يبدأ اللاجئون في طرد جميع سكان أوروبا من أوروبا، ويسكنوا مكانهم.
عندها فقط، قد يشكل اللاجئون دولة في أوروبا مثل إسرائيل، صح؟ ماذا تقول؟ أنت تحب دولة إسرائيل ولا تفهم سر غضب العرب عليها؟ طيب. لماذا لم تقل هذا من البداية؟ كنت وفرت علي كل هذه المناقشة!

غزو اللاجئين لأوروبا

عزيزي وحبيبي، أنا أفهم أنك ضد غزو اللاجئين العرب لأوروبا لأنهم سوف يقضون على حضارتها، على فيها الحضارية العظيمة. أفهم أنك غير متعاطف مع اللاجئين. ملك حق، وأنا أقدر مخاوفك. الحضارة الأوروبية حضارة جميلة وكلنا تربينا عليها، وهذا قلق إنساني نبيل على مستقبل الجنس البشري، ولكن أحب أن أذكرك بأنه قبل أن تضع الحضارة الأوروبية يجب أن تتحقق عدة خطوات أولاً:

– أن يهاجر اللاجئون بأعداد ضخمة للغاية.
– أن يبدأوا في شراء أراضٍ في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والنرويج والمجر.
– أن يبدأوا في الوقت نفسه في تكوين جيش يدافع عنهم.

الزوايا والأضرحة بالمغرب بين المتخيل والمقدس

أولياء متخصصون

والى اليوم ما زالت قدرات الأولياء في مخيال شريحة مهمة من المجتمع المغربي تعتقد بكراماتهم وبركاتهم. وعلى هذا الأساس يتم اللجوء لهم من أجل طلب قضاء العديد من الأمور الدنيوية والتبرك بهم، وللشفاء من الأمراض.. كما أن بعض الزوايا والأضرحة تخصصت في أمور بعينها، سواء في شفاء أمراض محددة أو من أجل قضاء أمور بعينها، كالزواج وإنجاب الأطفال وإرجاع الغائب.... وبالطبع يداب كل زائر على تقديم العديد من الهبات والهدايا لخدام الصريح الذين يكونون غالباً من أحفاد الولي أو من سكان المنطقة، والذين يعيشون على هذه العطايا. وهي ترتفع إذا ما تم المراد وقضيت أغراض القاصدين. وغالباً ما تكون الهبات والهدايا عبارة عن أموال أو ذبائح تقدم لدعم القائمين على خدمة الصريح أو كقرابين للصريح نفسه. وتنتشر حول الصريح دور وأماكن عديدة مخصصة لممارسة طقوس الشعوذة وفراء الطالع وفك السحر. وهناك العديد من الزوايا بالمغرب التي لا يزال روادها يقيمون جلسات الذكر وليالي الصلاة مع رقصات خاصة تعرف بالحضرة، كما هو الشأن بالزوايا البودشيشية والدرقاوية والكركية وغيرها.

ويلاحظ أن السلطات عملت، وخاصة في السنوات الأخيرة، على دعم التدين الشعبي والزوايا كثيراً، كما عملت على إعادة إحياء زوايا ومواد بعض الأضرحة التي كانت شبه منسية. ومعروف عن الزوايا أنها لم تكن لها ملامح سياسية قوية، وخاصة بعد الاستقلال. وعلى أية حال، فالزوايا التي كان لها نشاط سياسي حقيقي وملحوس نادرة، وهو حال الزاوية الخميليشية والتي كان لها نشاط سياسي منذ تأسيسها على يد الشيخ «سيدي يحيى خميليش» أواخر القرن السابع عشر، وهي تمكنت من استقطاب شريحة كبيرة في المجتمع الريفي الأمازيغي، بل توسعت لتشمل العديد من القبائل بمنطقة «الريف» (المنطقة الممتدة على طول المتوسط) التي انتظمت في شكل كونفدرالية بقيادة شيخ الزاوية، وكان لها بالإضافة إلى النشاط السياسي نشاط عسكري.. وكل هذا بالموازاة مع نشاطها الروحي، وهو ما منح هذه الزاوية خصوصيتها إلى اليوم، بحيث كانت تشكل سلطة سياسية قائمة بذاتها في دائرة نفوذها، مقابل السلطة المركزية.

التدين الشعبي والتدين الروحي

.. وإلى اليوم، فالإسلام التصوفي والزوايا من أكثر التجمعات الريحية للسلطة، ولا تشكل أي قلق لها أو خطر عليها، كما أنها لا تنحو باتجاه العنف، وهذا ما يفسر دعم السلطة لها وتوقيع نخبها ومنحها الهبات والهدايا. اعتمدت الدولة سياسة إحياء الطرق الصوفية منذ تسعينيات القرن الماضي، وخاصة مع بدايات انتشار التيارات السلفية بالمغرب وحركات الإسلام السياسي.

المغرب من أكثر الدول العربية والإسلامية احتضاناً للزوايا والأضرحة والمزارات، حيث تكاد لا تخلو قرية أو مدينة من صريح أو مزار، حتى سمي ببلد الألف ولي. وللزوايا والأضرحة بالمغرب حضورها وأهميتها داخل نسج المجتمع وحياته، وخصوصاً أن لها جذوراً ضاربة في عمق تاريخه الديني والسياسي منذ الإدارة إلى العوليين الذين يحكمون المغرب اليوم، حيث ارتبطت من جهة بالنسب الشريف أو الإنتساب لآل البيت وروجت للأيدولوجية الشريفة. كما ارتبطت من جهة أخرى بالتصوف الذي اتخذ أشكالاً متعددة تراوحت بين التصوف الفردي الذي يمثل مزار الصريح، والتصوف المؤسسي الذي تدخل في إطاره الزاوية التي لعبت أدواراً مهمة في تاريخ المغرب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وخاصة في فترة ما قبل وأثناء الاستعمار، حيث كانت الزاوية بمثابة سلطة محلية قائمة بذاتها، يساندها أعيان القبيلة وسكانها، وتمكنت من أن تفرض نفسها على «المخزن» (الدولة المركزية) كقوة حقيقية. كما لعبت دور إعلام وتغذية المحتاجين أيام المجاعات، وإيواء الفقراء خصوصاً في فترات الأزمات والحروب. واعتمدت في ذلك على أملاكها الخاصة، بالإضافة إلى تلقيها الهبات والهدايا المتواصلة أو ما يعرف بالزيارة.

قصص الأولياء ومنهم نساء

وتستند الأضرحة والزوايا على كرامات الولي الذي يدفن في قبر في أرض خاصة به وليس في مقبرة مع بقية المسلمين، أو يدفن بداخل الزاوية، ويشيد على القبر بناء يُغلى بأثواب خضراء عليها بعض الآيات القرآنية ليربطه بالدين الإسلامي، ولشرفته أمام زواره الذين يرضون نعت ما يقومون به من ممارسات على أنها خارجة عن الإسلام أو شرك بالله، ما دام الولي يتصف بالورع والتقوى والصالح. ويبقى لكل ولي صالح قصصه الخاصة وكراماته الخارقة التي تتجاوز حدود العقول أحياناً، وتدرج في إطار الأساطير والخرافات، تتوارث سردها الأجيال وتكون محل ثقة خاصة في صفوف الأميين أو من يعتقد بقدرات الأولياء فوق الطبيعية التي منحها له الله نظراً لالتزامه الديني وزهده وتصوفه، وبالتالي يعول عليه في وساطته مع الله الذي يستجيب له، فهؤلاء الأولياء أموات، ولكنهم في نظر من يقومون بزيارتهم ويطمعون ببركاتهم أحياء قادرين على حل مشاكلهم، وما يلفت الانتباه بزوايا المغرب أنها لا تقتصر على الذكور فقط، بل تنتشر العديد من الأضرحة التي تحمل أسماء نساء ارتبط اسمهن أيضاً بكرامات وحكايات عن تقواهن وورعهن، وتتم زيارتهن والتبرك بهن تماماً كما أضرحة الرجال. ومن جهة أخرى يوجد بالمغرب أضرحة مقدسة ليهود يتم تنظيم موائد وزيارات سنوية لها من قبل يهود مغاربة ويهود قادمين من مختلف دول العالم، يقيمون خلالها صلوات ويبتكرون بها تماماً كما يحدث عند أضرحة المسلمين.

.. بألف كلمة

600 ألف عاطل من العمل في تونس بينهم 240 ألف متخرج جامعي، وتخصص تونس 20 في المئة من موازنتها السنوية وحوالي 7 في المئة من ناتجها المحلي الإجمالي للتعليم، وهي أعلى النسب بين البلدان العربية، لينتهي الأمر.. بالبطالة!

«أرشيف ملصقات فلسطين»

برهان كركوتلي / سوريا



PALESTINE LIVES

عاشت الثورة الفلسطينية

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»

- وادي القمر في مصر - علي الرجال

- صباح الخير يا صنعاء - بلقيس المهدي

- هل تضمن مسودة المجتمع المدني القانون المصري حماية العامل وحقوقه؟ - مئة عمر (الفكرة القانونية)

- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi

- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

حلم..

وهذه الأخيرة تختلف عن التدين الشعبي أو التقليدي المرتبط خاصة بالزوايا والتصوف، والذي يُعدّ تديناً طقوسياً وسلماً بامتياز، بعيداً عن الشأن العام والشأن السياسي، بينما تدعو حركات الإسلام السياسي لقب النظام والمطالبة بنظام الخلافة والملك العضوض الخ.. ويرنو بعض الحركات السلفية إلى ممارسة العنف والجهاد ورفض النظام القائم.

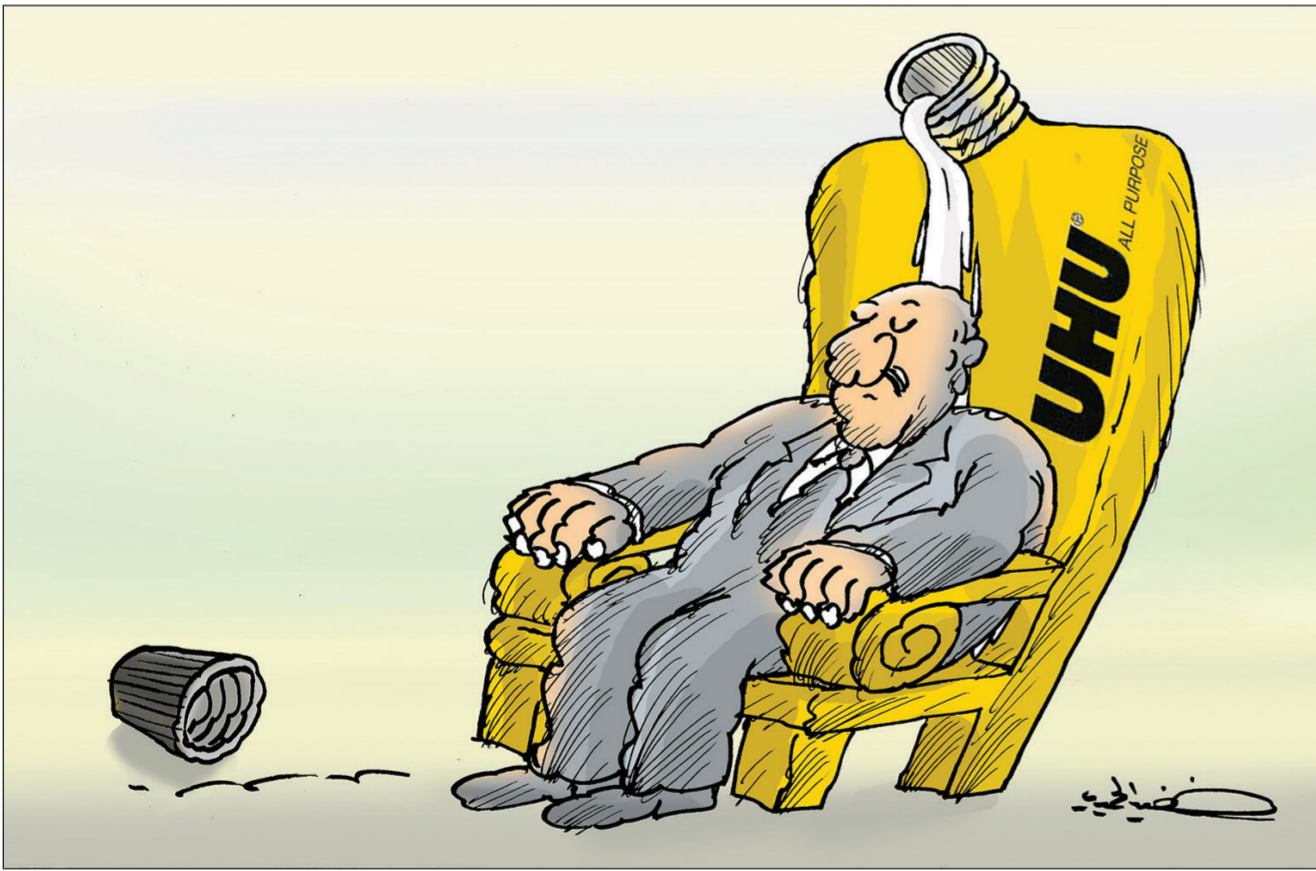
لذا كان من الطبيعي أن تتبنى الدولة استراتيجية توظيف قوى اجتماعية وسياسية مقابل أخرى، عن طريق دعمها المباشر أو غير المباشر لها، وهو ما استنجح فيه إلى حد كبير. إذ نشهد مهرجانات سنوية للعديد من الزوايا والأولياء، غالباً ما يتم افتتاحها من قبل السلطات المحلية التي تخصص لها هبات نقدية بالإضافة إلى المساعدة في تنظيم وتأمين المولد، أو ما يعرف في المغرب بـ «الموسم»، في ما يشبه لعبة تبادل للشرعية أو الشرعية. كما أن الإعلام يلعب دوراً كبيراً في الترويج لها عن طريق برامج تعريفية بالزاوية أو متابعة احتفالاتها السنوية في فترات إحياء الموسم أو المولد داخل الزاوية أو الصريح. وهكذا، فهناك فارق بين الأضرحة والزوايا، لجهة الفئات الاجتماعية التي ترتادها ولجهة «وظائفها» السياسية على الأقل. وفيما يتراجع «التدين الشعبي» في المغرب ويبقى محصوراً بالطبقات الفقيرة التي ما زالت تزور أضرحة الأولياء الصالحين للتبرك.. يتعاظم نفوذ الزوايا (ما يسمى «التدين الروحي») في بعض مناطق المغرب، حيث ظهرت زوايا جديدة استطاعت استقطاب مريدين من كل الطبقات. والزاوية مؤسسة قائمة بذاتها، فبالإضافة إلى الولي المؤسس لها، يوجد شيخ للزاوية من حفدته أو من الصالحين، يتوارث المهمة إلى اليوم. وتنظم الزاوية حلقات للذكر والصلاة وشيخها شبه مقدس، ويصل تأثيره إلى دول أفريقية مختلفة، كما هو الشأن بالنسبة للزاوية أو الطريقة التيجانية التي امتد تأثيرها من فاس إلى كل بلدان المغرب العربي والعديد من الدول الأفريقية كاستغال والسودان.

كما أن هذا النوع من التدين استطاع استقطاب العديد من المريدين الغربيين الذين ينسجمون مع الطابع الروحاني للممارسات والطقوس الدنيوية للزوايا، وهو ما تشهده اليوم بالزاوية البودشيشية التي تعرف انتشاراً كبيراً في المنطقة الشرقية للمغرب، ومريدها بالآلاف من داخل وخارج المغرب.

المتغيرات التي يعيشها المجتمع المغربي في إطار التطور الطبيعي للمجتمعات وفي إطار العولمة والانفتاح على الآخر كان له تأثير في تراجع دور الأضرحة في حياة الأفراد، ولكن هذا لا يعني أنها تسير نحو نهايتها، فحتى التجمعات الأكثر عقلانية لم تخلص إلى اليوم من مثل هذه المعتقدات.

إكرام عدنني

باحثة في العلوم السياسية من المغرب



رسم خضير الحيمري - العراق (خاص بـ «السفير العربي»)



مدونات

شطرنج على رقعة الوطن العربي

في الشطرنج تعتبر العشرون نقلة الاولى تحركات ما قبل الحرب. كل جيش يعيد تموضع قواته وفق تكتيك هجومي او دفاعي ويكون ذلك بتحسين موقع الملك (Roquage) وتأمين الخط الخلفي وافتكاك ممرات استراتيجية (الأقبال) والتركيز على نقاط ضعف الصف المقابل بالمناورة عبر الفرسان (Cavaliers) او التضحية ببندق او اثنين لتشتيت الانتباه عن مواقع الهجوم الاساسي. في العشرين نقلة الاولى قد تحدث اشتباكات عارضة حول بعض المواقع الإستراتيجية او معركة خاطفة يذهب ضحيتها بيدقان او فرسان، ولكن الحرب الضروس لن تنطلق قبل استواء الصفوف وانتهاء كل جيش من ترتيباته الداخلية. اشعر ان الوطن العربي مثل رقعة الشطرنج التي استعد جيشاها للحرب الكبيرة. لقد عشنا على وقع النقطة التكتيكية سنوات عدة ولكننا اليوم مقبلون على التحولات الإستراتيجية الكبرى. قد تنهار أنظمة ودول وقد تتفكك أوطان وهويات وقد تتغير خرائط وقد يتغير العالم كله. ولكن الموجه أننا نكتفي بدور البيادق في حرب هي حربنا. ووفق رقعة هي رقعتنا.

من صفحة Malek Sghiri (فايسبوك)

رسالة من يارا سلام

يأتي إطلاق سراح مئة سجين، كنت واحدة منهم. الأسبوع الماضي كخطوة إيجابية، ولكن الحل الحقيقي لمائة مئات الأشخاص ممن لا يزالون خلف أسوار السجون هو الإفراج الفوري عن كل المحبوسين بسبب مشاركتهم في احتجاجات سلمية، والغاء قانون التظاهر رقم 107 لسنة 2013 وقانون التجمهر رقم 10 لسنة 1914 والذي ما زال يُستخدم في محاكمة واحتجاز المشاركين في الاحتجاجات السلمية. لم أكن، أنا أو الآخرون الذين أطلق سراحهم بمقتضى العفو الرئاسي، الوحيدين المحتجزين في السجون بسبب ممارستنا لحق التعبير عن الرأي أو الحق في التجمع. العديد من المحتجزين، سواء على سبيل الاحتياط أو ممن يقضون مدد سجن قضت بها المحاكم، جرى استهدافهم لقيامهم بأفعال مشروعة تماماً وفقاً للدستور المصري الصادر في عام 2014. لقد ذهبنا للسجن، وما زال العديد هناك لجرد أنهم عبروا عن رأينا بحرية وبصورة سلمية، أو لقيام البعض بعملهم المهني كصحافيين، أو بسبب المشاركة في تجمعات عامة سلمية. وفي حالات عديدة واجهنا اتهامات ملفقة أو مختلقة يعاقب عليها القانون بأحكام سجن طويلة.

من صفحة «المبادرة المصرية للحقوق الشخصية» (فايسبوك)